الفصل الثالث

مصادر التربية الاسلامية

نحن لا نتحدث فى مجال أصول الفقه ، وبالتالى لا نسرد تحت هذا العنوان ما يسرده الكاتبون والعلماء تحت « مصادر الحكم الشرعى » وان كان ثمة تقارب بين النوعين ، كما سوف نرى بمشيئة الله · ولكن يبقى أن التربية تتفرد بمنهجها فى الترغيب والترهيب ، فى زرع الاستجابة واحداث التزكية ، والبلوغ الى تعلم الكتاب والحكمة ·

والناظر الى ما فعله السابقون الأولون يجد أنهم أخذوا من مصدرين أساسيين · الأول : هو الكتاب ، والثانى : هو سنة رسول الله ﷺ ·

ونحن على أثرهم بمشيئة الله ·· أخذا والتزاما وتعليما ·

بيد أن لنا أن نشير الى أن جزءا هاما ينبغى أن يلحق بالسنة هى الأفعال التى أتاها الرسول ﷺ ولنا فيه أسوة حسنة ، وكذلك الأفعال التى أتاها الصحابة وأقرهم عليها رسول الله ﷺ ·· والأولى سنة فعلية ، والثانية اقرارية ، وهذه وتلك تلحق سنة رسول الله ﷺ القولية · ونرى أنه فى مجال الحديث عن التربية ينبغى ابراز هذا الجانب العملى لأن به تكون الأسوة ، وبه تكون التربية أنجح

وأنجع ، ومن ثم فسوف نجعل هذا القسم متوسعا فيه بعض الشيء وندرجه تحت قسم ثالث هو « السيرة » ..

ونقصد بها سيرة الرسول ﷺ ثم ما تيسر من سيرة صحابته رضوان الله عليهم ، باعتبار تمثل هؤلاء لعمل رسول الله ﷺ ، وقوله، ومن قبل ذلك للقرآن الكريم . وباعتبارهم أقرب تطبيق عملي لمبادىء القرآن .

فهذه مصادر ثلاثة رئيسية نذكرها على التوالى ، ونشير من بعد ذلك الى سير التابعين ، والسلف الصالح ، من لدن التابعين وحتى اليوم ، فتلك صفحات مضيئة ظهر فيها أثر التربية الاسلامية الراشدة بعيدا عن زخرف القول وغرور النظريات ، وتساقطها بعيدا عن الغاية العليا والسبيل الأرشد .

والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

* * *

١ - الكتاب والسنة

الكتاب والسنة وكلاهما وحى .

الأول بلفظه ومعناه ، والثانى بمعناه دون لفظه .

وهما المصدر الأول للتربية الاسلامية . ذلك أن التربية لاتعدو

أن تكون فرعا علميا وعمليا من فروع الاسلام ، والكتاب والسنة أصل لكل فرع ٠

وسوف نشير بمشيئة الله تعالى الى بعض قواعد تعرفنا بالكتاب والسنة ٠ ثم نشير كذلك بمشيئة الله الى كيفية التلقى عن الكتاب والسنة ٠

أولا ـ قواعد حول الكتاب والسنة :

١ ـ الكتاب هو المصدر الأول : لأنه بلفظه ومعناه من عند الله تعالى ٠

ولأن رسول الله ﷺ قد عصم فى التبليغ عن ربه « **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس** » (١) ٠

ومن ثم وجب الرجوع الى القرآن أولا ٠

٢ ـ القرآن كله مصدر :

فى أماكن أخرى (٢) أشرنا الى أن القرآن كله مصدر للتشريع ، وعده ووعيده ، قصصه وأمثاله ، أوامره ونواهيه ٠

وهنا نقول : اذا كان ذلك فى مجال التشريع فهو فى مجال التربية أولى ٠ ذلك أن البعض قد يحتج فى المجال الأول بأنه اقتصر على

---

(١) المائدة : ٦٧ ٠

(٢) القرآن فوق الدستور ـ للمؤلف ـ ومؤلفات أخرى ٠

دائرة الاحكام الشرعية ، بمفهومها الاصطلاحى « خطاب الله الى العباد بطلب فعل أو طلب كف ٠٠ » أما فى مجالّ التربية فان التوجيه أدخل فيها من التشريع ، والقصص أولى بها من مجال الأحكام ٠

وذلك فضلا عن قاعدة عامة تحكم هذا وذاك « ان كتاب الله لا يقبل التجزئه » ٠

« **واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك** » (٣) ٠

٣ ـ القصص مورد عذب وهام للتربية :

قصص القرآن ساحته كبيرة ، وهو يتكرر كذلك فى القرآن ٠

وليس هذا ولا ذاك تسلية ولا تسرية ٠

لكنه كما قال رب العالمين « **لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ، ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** » (٤) ٠

واذا أمسكنا بنموذج واحد كقصة يوسف عليه السلام ٠ فكم نجد فيها من دروس التربية ٠

أول درس نتلقاه وجوب عدم التفرقة بين الأولاد فى المعاملة حتى لا يورثهم ذلك الحقد « **ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفى ضلال مبين ٠ اقتلوا يوسف أو أطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين** » (٥) ٠

---

(٣) المائدة : ٤٩ ٠ (٤) يوسف : ١١١

(٥) يوسف : ٨ ، ٩

وثانى درس نتلقاه : درس الصبر ٠٠ يوسف يصبر على محنة الجب ، ويصبر على محنة الاسترقاق ، ويصبر على محنة المراودة ، ويصبر على محنة السجن ٠٠٠ وأبوه من ورائه يصبر على محنة فراقه وهو أحب أبنائه اليه ، وان ظل يبكيه حتى ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ، ثم يصبر من بعده على فراق أخيه ، وعلى اتهامه بالسرقة ٠٠ ومع ذلك لا يفقد الثقة بالله : « **يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله ، انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون** » (٦) ٠

وثالث درس نتلقاه : منع الخلوات فى البيوت ٠٠ ومنع ذلك الاختلاط المشين بين الرجال والنساء ولو كان أحد الجنسين فى مقام أدنى من الناحية الاجتماعية فما خلا رجل بامرأة الا كان الشيطان ثالثهما ٠٠٠ سواء أكان أحدهما خادما والآخر مخدوما ٠٠ وتلك مصيبة حياة القصور وما جرى مجراها ٠ فتلك امرأة العزيز ٠٠ وهى تعلم مكانها ومكان زوجها تراود من ؟ تراود فتاها ـ أى عبدها ـ عن نفسه : « **وغلقت الابواب وقالت هيت لك** » (٧) ٠ نداء ٠٠ أو اخبار « هيئت لك » ٠ ثم حين يمتنع عنها يزداد سعارها فتعلن على الملأ « **وائن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين** » (٨) ٠

ورابع درس نتلقاه : عاقبة التقوى والصبر : « **انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين** » (٩) ٠

---

(٦) يوسف : ٨٧ ٠ (٧) يوسف : ٢٣ ٠
(٨) يوسف : ٣٢ ٠ (٩) يوسف : ٩٠

فهذا يوسف رغم مكانه فى القصر « فتى » ، ورغم مكان التى هو فى بيتها « سيدة أولى » يقول : « **معاذ الله انه ربى أحسن مثواى، انه لا يفلح الظالمون**» (١٠) فيمتنع،ثم يصبر،ويصبر على المؤامرة بعد ذلك « **ليسجنن وليكونن من الصاغرين** » (١١) بل يقول فى مجال التعالى على الاثم والتجافى عن الخطيئة « **رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه** » (١٢) .

فماذا كانت النتيجة ؟؟ .

أولا : اعلان براءته على ملأ كما كان اتهامه على ملأ : « **قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه ، وانه لمن الصادقين . ذلك ليعلم انى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدى كيد الخائنين** » (١٣) .

ثانيا : صار الأمين على خزائن مصر : « **وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ، يتبوأ منها حيث يشاء ، نصيب برحمتنا من نشاء ، ولا نضيع أجر المحسنين** » (١٤) .

ثالثا : ما امتنع عنه فى الحرام مكنه الله منه فى الحلال ، فتزوج من امرأة عزيز مصر ، وبقدرة الله عادت شابة كما كانت يوم راودته عن نفسها .

---

(١٠) يوسف : ٢٣ (١١) يوسف : ٣٢
(١٢) يوسف : ٣٣ (١٣) يوسف : ٥١ ، ٥٢ .
(١٤) يوسف : ٥٦ .

رابعا : « **ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون** » (١٥) .

أى درس رائع تزرعه هذه القصة فى النفوس تقوى وصبرا .

خامس الدروس : درس العفو ..

هذا يوسف يمكن من اخوته الذين ألقوا به فى الجب واتهموه بأنه سارق « **ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل** » (١٦) فماذا يكون موقفه بعد أن من الله عليه بالتمكين ؟

« **قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين** » (١٧) .

« **قال لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين** » (١٨) .

وماذا كان موقف والده « يعقوب » عليه السلام من ابنائه الذين عقوه ؟ « **قال سوف أستغفر لكم ربى ، انه هو الغفور الرحيم** » (١٩)

٤ ـ السنة تقف مع القرآن موردا عذبا :

لئن تميز القرآن بأنه المصدر الاول ، ولئن تميز كذلك بان تلاوته فى حد ذاتها عبادة . فان السنة تقف مع القرآن موردا عذبا للتربية الصحيحة السليمة . ففيها فصل ما أجمله القرآن . وخصص

---

(١٥) يوسف : ٥٧ .
(١٦) يوسف : ٧٧
(١٧) يوسف : ٩١ .
(١٨) يوسف : ٩٢ .
(١٩) يوسف : ٩٨ .

أو قيد العام والمطلق ، وفيها ما جاء « زائدا » عن القرآن وان أمكن رده الى القرآن كذلك • ولقد كان فيها التشريع والتوجيه • كما كان فيها القصص وضرب الامثال •

● وقصة الثلاثة الذين غلقت عليهم الصخرة فدعا كل بصالح عمله تعطى دروسا عديدة •

١ ــ درس التقوى : ففى كل عمل لهؤلاء الثلاثة كانت تقوى الله سبحانه • سواء الذى جلس يحمل غبوق اللبن حتى يصحو والداه احسانا اليهما • أو الذى امتنع عن ابنة عمه وهى أشهى ما تكون لنفسه خوفا من الله وحياء منه • أو الذى ثمر أجر الأجير حتى زاد أضعافا كثيرة • كل أولئك كانت غايتهم التقوى •

٢ ــ عاقبة التقوى : كما تظهر من القصة كانت انفراج الصخرة شيئا فشيئا حتى استطاعوا الخروج : « **ومن يتق الله يجعل له مخرجا** » (٢٠) •

٣ ــ شمول الاعمال الصالحة : فليست قاصرة على تعبد فقط ، بل ان هذه الأعمال الثلاثة لم يكن فيها تعبد بالمعنى الاصطلاحى ، ومع ذلك كانت سببا فى فرج الله سبحانه وتعالى •

● وقصة الغلام والساحر فيها الكثير ••

فيها كيف يكبر الايمان دون تقيد بالسن •

---

(٢٠) الطلاق : ٢.

فيها كيف يجعل الله فردا واحدا سببا لايمان أمة وهداية شعب.

فيها كيف يستعلى الايمان على الجبروت : « **فاقض ما أنت قاض ، انما تقضى هذه الحياة الدنيا** » (٢١) .

فيها دناءة الطغيان وقلة وفائه ، اذ ضحى الملك بجليسه ثم ضحى بالعالم (الراهب) ثم ضحى بالغلام الصغير .

ثم لم يتحرج عن أن يشق الأخاديد لشعبه كله لما آمن .

فيها تفسير للطغيان : « **وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد** » (٢٢) .

فيها سنة الله : « **أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين** » (٢٣) .

* * *

٢ ـ سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

أما سيرة الرسول ﷺ ، فهى « النموذج » « والمثل الأعلى » للتربية الاسلامية . تمثل فيها التطبيق البشرى لكل مبادىء الاسلام .

---

(٢١) طه : ٧٢ (٢٢) البروج : ٨

(٢٣) العنكبوت : ٢ ، ٣ .

فان تحدثنا عن العقيدة ·· وجدنا فى عقيدة رسول الله ﷺ النموذج والمثل ·

وان تحدثنا عن « الأخلاق » وجدنا فى أخلاق رسول الله ﷺ النموذج والمثل الأعلى ·

وان تحدثنا عن التعبد وجدنا فى تعبد رسول الله ﷺ النموذج والمثل الأعلى ·

وان تحدثنا عن المعاملة وجدنا فى تعامله ﷺ النموذج··وهو فى ذلك حجة ، لأنه بشر مثلنا يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق · وعصمته فيما يبلغ عن ربه ·

ولأننا مدعوون أن نتخذ منه « أسوة وقدوة » **« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »** (٢٤) ·

ولسنا بمستطيعين أن نضرب النماذج التفصيلية من سيرة رسول الله ﷺ لأن ذلك يحتاج الى دراسة خاصة · لكنا نشير الى أن فى سيرته :

- الاستجابة لله ·
- التزكية بفروعها وتفاصيلها ·
- تعلم الكتاب والحكمة ·

---

(٢٤) الاحزاب : ٢١ ·

فى سيرته كيف يربى الانسان نفسه ، وكيف يربى الانسان غيره ٠

وهذا وذاك نحتاجه لنضرب للناس النموذج العملى فى هذا المجال وذاك ٠ وحسبنا فى السيرة هذه الاشارة ٠

* * *

٣ – سيرة الصحابة والتابعين

لئن كانت سيرة الصحابة ومن بعدهم التابعين تأتى فى المرحلة التالية بعد سيرة رسول الله ﷺ ، فانها تستمد أهميتها من أنهم بشر ٠ وليسوا ملائكة ، وليسوا كذلك أنبياء ٠٠٠ ومن ثم فهم حجة على من بعدهم من الاجيال أن يحاولوا الرقى كما ارتقوا ، وأن يحاولوا الارتفاع كما ارتفعوا ٠

وفى سيرة صحابة رسول الله ﷺ خاصة الراشدين منهم تكامل غريب ٠

● فى أبى بكر – رضى الله عنه – يبرز « رجل الساعة » الذى يتخذ المواقف ٠

موقفه فى سقيفة بنى ساعدة ، وانقاذ أمر الخلافة من أن تصير الى الخلاف ٠

موقفه من حرب الردة ، وثاقب نظره الى حقيقة الاسلام أنه

obeikandl.com

لا يقبل التجزئة ، ولا يقبل المساومة • ومن ثم لا يفرق بين صلاة وزكاة ويعلنها وهو الذى اشتهر عنه : « والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه الى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه » •

موقفه قبل ذلك من تصديق رسول الله ﷺ حتى لقب بالصديق • ومواقفه فى مساندة رسول الله ﷺ والهجرة معه وافتداء رسول الله ﷺ •

● وفى عمر رضى الله عنه يبرز «رجل الدولة» الذى ينظم ويرتب، وينمتد بالدولة الاسلامية شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، حتى يعز الاسلام فيقول عمر : « ما حاجتنا الى سهم المؤلفة قلوبهم وقد عز الاسلام » •

ومع أنه كان رجل دولة ••• فلم يغادره التواضع ولا الرحمة •

يتعسس رعيته ، ويتفقد أحوالهم والناس نيام • فيجد من تشكو « الله » فى عمر فيقول لها : وما أدرى عمر ؟ فتقول التى تلقت الوعى الصحيح فى عهد الدولة الاسلامية الزاهر : أيتولى أمرنا ويغفل عنا ؟ •

ويجد من تعلل أطفالها بالحصى وهم جياع فيبكى رجل الدولة ويحمل الدقيق على ظهره ويقول له بعض معاونيه : نحمل عنك يا أمير المؤمنين ، فيرفض ويقول : « أتحمل عنى أوزارى يوم القيامة » ؟ •

ويجد من تجادل أمها وهى تغش اللبن ، وتقول لها : ألم ينهنا أمير المؤمنين عن ذلك ؟ فتقول لها الأم : ولكنه لا يرانا ، فترد الفتاة المسلمة : ان لم يكن يرانا فالله يرانا • فيختارها أمير المؤمنين زوجة لابنه ليكون منهـا الخليفة العـادل « عمر بن عبد العزيز » وهكـذا •

● ويأتى عثمان رضى الله عنه فتمثل فى سيرته : السخاء ، والجود والكرم ، وتقديم المصلحة العامة للمسلمين على كل مصلحة خاصة ، ثم التقوى •• غاية التقوى •

وقصته فى تجارته التى عرض عليه فيها تجار مكـة ضعفين وثلاثا فيقول لهم : لقد وجدت من يعطينى أضعاف ذلك •• فيحتارون ويتساءلون : من ؟ فيقول : الله رب العالمين : « **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها** » (٢٥) •

وقصته مع الوفود التى حاصرته ، وهو يأبى أن يقاتلها حتى لا يسفك الدم المسلم ويبقى صائما مرتلا للقرآن حتى ينقض عليه من يقتله وهو كذلك •

● ويأتى على رضى الله عنه ••• يمثل فى سيرته الشجاعة والاقدام والعلم والفقه والوقوف الى جانب الحق •

---

(٢٥) الأنعام : ١٦٠ •

أما الأولى فمواقفه ومشاركته فى غزوات الرسول ﷺ ثم قتاله ابان حكمه كأمير للمؤمنين ٠

وأما الثانية فيكفى فيها توقيفه لعمر لما سأل : ما رأيكم فيما لو شاهد أمير المؤمنين اثنان يزنيان ؟ ، فيقول : يأتى بأربعة شهداء والا أقيم عليه الحد ٠

وأما الثالثة : فموقفه من الذين غالوا فى حبه ٠٠ فحرقهم لأن حب الله وتوحيده وتنزيهه مقدم على كل حب آخر ٠ كذلك موقفه من الخوارج الذين أرادوا أن يكفروا الناس بالمعصية ٠ جادلهم بالتى هى أحسن حتى اذا لم تفلح ٠٠ جالدهم بالتى هى أقسي ٠

وفى سيرة التابعين الكثير ٠٠ ومن تابعهم باحسان الى يوم الدين ٠

* * *